الفصل الأول

تتبُّع ظاهرة المضحك تاريخيًّا عند العرب حتى نهاية حكم المتوكل

obeikandl.com

obeikandl.com

شخصية المضحك فى العصر الجاهلى

لا نظن أنه كان عند العرب – فى العصر الجاهلى – وجود لشخصية المضحك كما سوف نرى هذه الشخصية بوضوح فى العصر العباسى بتأثر من الفرس الذين كانت هذه الشخصية معروفة فى بلاط أكاسرتهم؛ وذلك لبساطة الحياة عند العرب فى العصر الجاهلى، ولعدم وجود وسائل متنوعة للهو التى منها وجود شخصية المضحك، سواء أكان مضحكًا للسادة والأشراف أم لعامة الناس من أحرار وعبيد، بل كانت وسائل اللهو عندهم آنذاك بسيطة وساذجة.

وأيضًا لم توجد شخصية المضحك فى العصر الجاهلى بشكل قريب لما سوف نراه فى العصر الأموى، من نموذج المضحك المسلّى للأشراف والسادة المرفهين فى مكة والمدينة آنذاك.

ومع ذلك فقد كان الناس فى العصر الجاهلى – شأنهم شأن أى أناس فى أى مجتمع مهما كانت درجة تحضره – يميلون للقص والتسلية، وكان هناك قصاصون يروون الأحاديث والأخبار.

وكان العرب فى العصر الجاهلى يُشْغَفون بالقصص شغفًا شديدًا "وساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة فى الصحراء، فكانوا حين يرخى الليل سُدُوله يجتمعون للسمر، وما يبدأ أحدهم فى مضرب من مضارب خيامهم بقوله: كان وكان، حتى يرهف الجميع أسماعهم إليه، وقد يشترك بعضهم معه فى الحديث، وشباب الحى وشيوخه ونساؤه وفتيانه والمخدرات وراء الأخبية، كل هؤلاء يتابعون الحديث فى شوق ولهفة"[1].

---

(١) د. شوقى ضيف: العصر الجاهلى. القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة والعشرون، ص٣٩٩، وانظر أيضًا: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ١٢٨/١.

obeikandl.com

ولعل بعض القصاصين كانوا يميلون لحكاية القصص المضحكة، لامتلاكهم روح الفكاهة، ولإمتاع المستمعين لهم. كل هذا يمكن تخمينه، ومع ذلك فلا نستطيع أن نجزم بوجود شخصيات فى العصر الجاهلى مارست دور المضحك – كما سوف نرى فى العصر العباسى على وجه الخصوص - .

وكل ما يمكن إضافته لهذا أنه وجد نوع من المضحكين فى هذا العصر، وهو شخصية الأحمق الذى يضحك الناس دون قصد منه، ويرغبون فى استماع بعض كلامه لما فيه من مخالفة للعقل والمعقول.

وهذا الأحمق الذى روى الناس بعض نوادره فى العصر الجاهلى وضحكوا منها – هو هَبَنَّقة القيسىّ[1].

---

(١) هو أبو نافع يزيد بن ثروان، من بنى قيس بن ثعلبة، وكان يقال له ذو الودعات؛ لأنه كان يجعل فى عنقه قلادة من عظام وخزف، وقد عاش فى العصر الجاهلى، ويضرب المثل بحمقه فيقال: أحمق من هبنقة. انظر عنه: نهاية الأرب، ٣٥٨/٣، والميدانى: مجمع الأمثال. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت، دار الجيل، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ٣٨٦/١- ٣٨٧، والأعلام ، ١٨٠/٨.
وهناك نادرة تروى لهبنَّقة يشتم منها أنه قد عاش فى العصر الأموى. مما يعنى أنه لم يكن جاهليًّا، وهذه النادرة تروى له مع ممرور آخر اسمه الجرنفش عاش فى العصر الأموى "انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد. تحقيق: عبد المجيد الترحينى. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ١٧١/٧، وها هى ذى تلك النادرة.
"قال الأصمعى: سوبق بين الجرنفش وهبنقة، أيهما أجن وأحمق، فجاء جرنفش بحجارة خفاف من جص، وجاء هبنقة بحجارة ثقال وترس، فبدأ الجرنفش فقبض على حجر. ثم قال: درى عقاب، بلبن وأشخاب! ثم رفع صوته وقال: الترس! فرمى الترس فأصابه، فانهزم هبنقة، فقيل له: لم انهزمت؟ فقال: إنه قال: الترس! ورمى الترس فلم يخطئه، فلو أنه قال العين ورماها أما كان يصيب عينى؟".
انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد. تحقيق: د. عبد المجيد الترحينى. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ١٧١/٧.=

obeikandl.com

والنوادر التى وصلتنا عن هبنقة تدور حول حمقه، وتصوِّر أفعالاً غريبة يفعلها، أو تعرض كلامًا له يفتقد المنطق والعقل.

وها هى ذى بعض نوادر عنه، تدل على حمقه وتغفيله.

"ومن حمقه أنه جعل فى عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف، وهو ذو لحية طويلة، فسئل عن ذلك، فقال: لأعرف بها نفسى، ولئلا أضل، فبات ذات ليلة وأخذ أخوه قلادته فتقلدها، فلما أصبح ورأى القلادة فى عنق أخيه قال: يا أخى أنت أنا فمن أنا!"[1].

* * *

"ومن حمقه أنه كان يرعى غنم أهله، فيرعى السمان فى العُشب، وينحِّى المهازيل، فقيل له: ويحك ما تصنع؟ قال: لا أفسد ما أصلحه الله، ولا أصلح ما أفسده"[2].

* * *

و"حكى أنه شرد لهبنقة القيسى بعير فقال: من جاء به فله بعيران، فقيل له: أتجعل فى بعير بعيرين؟! فقال: إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان"[3].

* * *

=ونظن أن هذه النادرة مما ولِّد على هبنقة؛ لأن المصادر القديمة التى تعرضت له أكدت أنه جاهلى، مثل مجمع الأمثال للميدانى، ونهاية الأرب للنويرى، وكذلك فى العصر الحديث أكد الزركلى فى الأعلام أنه جاهلى.

(١) مجمع الأمثال، ٣٨٧/١.

(٢) المصدر السابق، ٣٨٧/١، وانظر أيضًا: العقد الفريد، ١٧٠/٧- ١٧١.

(٣) نهاية الأرب، ٣٥٨/٣، وانظر أيضًا: مجمع الأمثال، ١/ ٣١٦.

obeikandi.com

"ومن حمقه أنه اختصمت الطفاوة وبنو راسب إلى عرباض فى رجل ادعاه هؤلاء وهؤلاء، فقالت الطفاوة: هذا من عرافتنا، وقالت بنو راسب: بل هو من عرافتنا، ثم قالوا: رضينا بأول من يطلع علينا.

فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم هبنّقة، فلما رأوه قالوا: إنا للّه! من طلع علينا؟ فلما دنا قصوا عليه قصتهم، فقال هبنّقة: الحكم عندى فى ذلك، أن يذهب به إلى نهر البصرة فيلقى فيه، فإن كان راسبيًّا رسب فيه، وإن كان طفاويًّا طفا، فقال الرجل: لا أريد أن أكون من هذين الحيين، ولا حاجة لى بالديوان"[1].

وتروى لهبنقة نوادر يظهر فيها اتصافه بقدر من الحكمة ممزوجة فى الوقت نفسه بجنونه، فهو يمزج فى الموقف الواحد بين كلام الحكماء وكلام المرورين، وها هى ذى نوادر نرى فيها حكمة هبنقة الممزوجة بجنونه.

"وقال رجل: أردت النكاح فقلت: لاستشيرن أول من يطلع على ثم أعمل برأيه؛ فكان أول من طلع هبنقة القيسى، وتحته قصبة؛ فقلت له: أريد النكاح، فما تشير [به] على؟ قال: البكر لك، والثيب عليك، وذات الولد لا تقربها واحذر جوادى لا ينفحك!"[2].

* * *

(١) مجمع الأمثال، ١/٣٨٦- ٣٨٧.

(٢) العقد الفريد، ٧/١٠٨.

obeikandl.com

"وافترس الذئب له شاة، فقال لرجل: خلصها من الذئب وخذها، فإن فعلت فأنت والذئب واحد"[1].

* * *

"وساوم رجل هبنقة فقال: اشتريتها بستة، وهى خير من سبعة، وأُعطيت فيها ثمانية، وإن أردتها بتسعة، وإلا فزن عشرة!"[2].

وبالطبع لا نطمئن كثيرًا لصحة هذه النوادر، وحدوثها فى العصر الجاهلى، ولكنها – على كل حال – تصوِّر لنا جانبًا مما يمكن أن يكون قد حدث فى العصر الجاهلى، وتعرض علينا نموذج المضحك الأحمق، الذى يوجد – تقريبًا – فى كل عصر وكل بيئة، ويتناول الناس أقواله وأفعاله على سبيل الفكاهة؛ لأنها تخالف العقل والمعروف بين الناس[3].

---

(١) المصدر السابق، ١٧١/٧.

(٢) المصدر السابق، ١٧١/٧.

(٣) يقول الدكتور أحمد الحوفى: "الغفلة من بواعث الضحك؛ لأن المغفل يفاجئ الناس بغير ما يتوقعون، فهو يرى ما ليس موجودًا، ويسمع ما ليس ملفوظًا، وينطق بما لا يوافق المقام؛ لأنه فى وادٍ والناس فى وادٍ، فهو فى عالم الخرافة والخيال والوهم، والناس فى عالم الحقيقة والواقع، ولهذا يفاجئهم بغير ما يتوقعون، فيضحكهم". انظر: د. أحمد محمد الحوفى: الفكاهة فى الأدب أصولها وأنواعها. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يناير ٢٠٠١م، ص٢٩، وانظر أيضًا د. شوقى ضيف: الفكاهة فى مصر. القاهرة، دار المعارف، ط٣، ص١٢، ود. ر. بلاشير: تاريخ الأدب العربى. ترجمة: د. إبراهيم الكيلانى. بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٩٠٣.

obeikandl.com

وهذا إذن هو كل ما يمكن الحديث عنه عن شخصية المضحك فى العصر الجاهلى، الذى كان الغالب عليه طبيعة الجد؛ لكثرة الحروب فيه بين القبائل لأتفه الأسباب، وكثر فيه لذلك شعر الحماسة والرثاء والفخر، وحتى شعر الهجاء فيه كان أميل للجد بتصوير معايب الخصوم، ولا نكاد نرى فيه روح الفكاهة، كما يصوّر لنا ذلك الشعر الفكاهى فى العصر العباسى الأول عند أبى دلامة وأبى الشمقق وأبى نواس وغيرهم من الشعراء الذين صوّروا بأسلوب ساخر جوانب من مجتمعهم العباسى المتحضر.

obeikandl.com

شخصية المضحك فى عصر صدر الإسلام

عصر صدر الإسلام كان فيه صراع شديد بين مبادئ الإسلام ومخلفات الوثنية، وهو عصر بناء لذلك الدين الذى أخرج الله به الناس من ظلام الكفر لنور الإيمان.

ومن الطبيعى أن يغلب الجد على الناس فى ذلك العصر، فالمسلمون مشغولون بفهم الرسالة السماوية الخاتمة وتلاوة آيات القرآن وفهمه، وهم أيضًا فى حروب مستمرة ضد الكفار، والمرتدين، والمعادين للمسلمين على حدود الجزيرة العربية.

ولأن الإسلام دين يعالج أمور الناس فى الدنيا، ويهديهم للآخرة؛ فإنه لم يغفل جانب الروح، وأهمية الابتسامة النقية فى حياة المسلم.

فيروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إنى لأمزح ولا أقول إلا حقًّا"[1].

وعن أبى هريرة قال: قالوا يا رسول الله: إنك تداعبنا، قال: "نعم، غير أنى لا أقول إلا حقًّا"[2].

---

(١) الماوردى: أدب الدنيا والدين. حققه وعلق عليه: مصطفى السقا، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده، ط٣، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ص٢٨٤.

(٢) الترمذى: الشمائل المحمدية، والخصائص المصطفوية. ضبطه وصححه: محمد عبد العزيز الخالدى. بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، حديث رقم ٢٣٨، والترمذى: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وآخرين. القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، الجزء الخامس. تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، وقد روى الترمذى فى سننه هذا الحديث بمعناه، حديث ١٩٩٠.

obeikandl.com

وعن عبد الله بن الحارث بن جز قال: "إن رسول الله ﷺ كان لا يضحك إلا تبسمًا"[1].

وعن عبد الله بن الحارث أيضًا أنه قال: "ما رأيت أحدًا أكثر تبمسًا من رسول الله ﷺ"[2].

ومن ذلك أيضًا ما روى من أن النبى ﷺ افتقد سويداء لبعض الأنصار كانت تزور عائشة فتلعب بين يديها وتضحكها وكان النبى ﷺ يجدها عند عائشة فيضحكان جميعًا، فلما افتقد الرسول ﷺ السويداء، قال: يا عائشة، ما فعلت السويداء؟ قالت: إنها مريضة، فجاءها النبى ﷺ يعودها، فوجدها فى الموت، فقال لأهلها: إذا توفيت فآذنونى، فلما توفيت آذنوه، فشهدها وصلى عليها، قال: اللهم إنها حريصة على أن تضحكنى، فأضحكها فرحًا[3].

ولأن الإسلام – كما رأينا – لا يعادى المرح غير المحرم، والمزاح الذى لا كذب فيه، فإنه قد ظهر فى عصر صدر الإسلام شخصية المضحك، الذى يضحك الصحابة، ويضحك النبى ﷺ، وذلك من خلال ما يقوم به من مواقف غريبة، أشبه بما نطلق عليه الآن "بالمقالب".

---

(١) الملا على الفارسى: جمع الوسائل فى شرح الشمائل. رسالة ماجستير إعداد: منال بنت طلال عبد الله الزهرانى. كلية الدعوة وأصول الدين. جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٣٩٧، وسنن الترمذى، حديث ٣٦٤١.

(٢) جمع الوسائل، ص٣٩٨، والشمائل المحمدية، حديث ٢٨٨، وسنن الترمذى، حديث ٣٦٤٢.

(٣) العقد الفريد، ٩٢/٨.

obeikandi.com

وكل ما وصلنا من أخبار عن هذا المضحك – وهو نعيمان[1] – يدور فى إطار المواقف المضحكة[2]، التى كان يقبلها النبى ﷺ منه؛ لأنه يعرف حسن دينه؛ وأنه لم يرد من مواقفه هذه إلا إضحاك النبى ﷺ وصحابته الكرام.

وقد جاء عن نعيمان أنه من الصحابة الكرام، وأنه "من أولع الناس بالمزاح والضحك، قيل إنه يدخل الجنة وهو يضحك"[3].

وها هى ذى بعض أخبار لنعيمان، يقوم فيها بعمل مواقف مضحكة – أشبه كما قلنا بالمقالب – يضحك منها النبى ﷺ وصحابته الكرام.

"كان بالمدينة رجل يقال له: نعيمان، وكان لا يدخل المدينة طُرْفَة إلا اشترى منها، ثم جاء بها إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله! هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه، فطالب نعيمان بثمنه، جاء به إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله! اعط هذا ثمن متاعه.

---

(١) هو نعيمان بن عمرو الأنصارى: صحابى من قدماء الصحابة وكبرائهم، شهد بدرًا، ويقال: إنه مات فى خلافة معاوية. انظر فيه: ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب. تحقيق: على محمد البجاوى. بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٤/١٥٢٦- ١٥٣٠.

(٢) وهذه المواقف – أو بعضها – أشبه بالمقالب. يقول عباس محمود العقاد: "وتعد المقالب من بواعث الضحك، وهى الأكذوبة التى توقع السامع فى بعض الغرم أو بعض التعب، دون أن يصحبها ضرر أليم. والمبالغة فيها كاختلاق أخبار النعى... والدعوة إلى وليمة، ولا وليمة!" انظر: عباس محمود العقاد: جحا الضاحك المضحك. القاهرة، سلسلة كتاب الهلال، العدد ٦٥، أغسطس ١٩٥٦م، ص٢٣.

(٣) الأبشيهى: المستطرف فى كل فن مستظرف. شرحه ووضع هوامشه: د. مفيد محمد قميحة. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٥٢٩.

فيقول رسول الله ﷺ: أولم تهده لى؟ فيقول: يا رسول الله! والله لم يكن عندى ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله؛ فيضحك رسول الله ﷺ، ويأمر لصاحبه بثمنه"[1].

* * *

"وجاء أعرابى إلى النبى ﷺ فدخل المسجد، وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض أصحاب النبى ﷺ لنعيمان بن عمرو الأنصارى – وكان يقال له النعيمان –: لو نحرتها فأكلناها، فإنا قد قرمنا إلى اللحم[2]، ويغرم رسول الله ﷺ ثمنها قال: فنحرها النعيمان، ثم خرج الأعرابى، فرأى راحلته، فصاح واعقراه يا محمد! فخرج النبى ﷺ، فقال: من فعل هذا؟ قالوا: النعيمان، فاتبعه يسأل عنه، فوجده قد اختفى فى خندق، وجعل عليه الجريد والسعف، فأشار إليه رجل، ورفع صوته بقوله: ما رأيته يا رسول الله، وأشار بإصبعه حيث هو، فأخرجه رسول الله ﷺ، وقد تغير وجهه بالسعف الذى سقط عليه، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: الذين دلوك علىَّ يا رسول الله هم الذين أمرونى. قال: فجعل رسول الله ﷺ يمسح عن وجهه ويضحك. قال: ثم غرمها رسول الله ﷺ"[3].

---

(١) أخبار الظراف والمتماجنين، ص٥٠، وانظر أيضًا: ابن سعيد الأندلسى: المقتطف من أزاهر الطرف. تحقيق: د. سيد حنفى حسنين. القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م، ص١٨٨، ونهاية الأرب فى فنون الأدب، ٤/٤، والحديث بمعناه فى الاستيعاب، ١٥٢٩/٤.

(٢) قرمنا إلى اللحم: أى اشتدت شهوتنا إليه.

(٣) الاستيعاب، ١٥٢٧/٤- ١٥٢٨.

obeikandl.com

بل يصل نعيمان فى "مقالبه" إلى حد أنه يبيع صحابيًّا حرًّا، انتقامًا منه – خلال رحلة تجارية – لأنه لم يعطه بعض الطعام فى غيبة أبى بكر الصديق عنهما خلال هذه الرحلة، وها هو ذا الخبر الذى فيه هذا الأمر.

"خرج أبو بكر الصديق فى تجارة ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة[1]، وكلاهما بدرى[2]، وكان سويبط على الزاد، فجاءه نعيمان، فقال: أطعمنى. فقال: لا، حتى يجئ أبو بكر – وكان نعيمان رجلاً مضحاكًا مزاحًا –، فقال: لأغيظنك، فذهب إلى ناسٍ جلبوا ظهرًا، فقال: ابتاعوا منى غلامًا عربيًّا فارهًا، وهو ذو لسان، ولعله يقول: أنا حُرّ؛ فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوه، لا تفسدوا علىّ غلامى. فقالوا: بل نبتاعه منك بعشرة قلائص[3]. فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال: دونكم[4] هو هذا. فجاء القوم، فقالوا: قد اشتريناك. فقال سويبط: هو كاذب، أنا رجل حر. قالوا: قد أخبرنا خبرك، فطرحوا الحبل فى رقبته، فذهبوا به، وجاء أبو بكر. فأخبر، فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص، وأخذوه، فضحك النبى ﷺ وأصحابه من ذلك حولاً"[5].

---

(١) سويبط بن حرملة: هو سويبط بن سعد بن حرملة، صحابى شهد بدرًا، وانظر فيه: الاستيعاب، ٦٨٩/٢- ٦٩١؛ ١٥٢٦/٤.

(٢) أى: كلاهما شهد معركة بدر.

(٣) قلائص: مفردها قلوص، وهى القوية من الإبل التى لا تتجاوز التاسعة من عمرها. والقلوص: ولد النعام، والقلوص: أيضًا فرخ الحبارى.

(٤) دونكم: أى أمامكم.

(٥) حولاً: أى عامًا، والخبر فى الاستيعاب، ٤/ ١٥٢٦، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٢٧، ونهاية الأرب، ٣/٤- ٤، والفصل الأول من مسرحية "الطبيب رغمًا عنه" لموليير فيه الموقف نفسه الذى نراه فى هذا الخبر، فزوجة سجناريل الحطاب، تحاول الانتقام من زوجها الذى يضربها، فتدعى=

ويستمر نعيمان فى فكاهاته ومقالبه المضحكة – التى بها جرأة يقبلها منه الصحابة، لمعرفتهم بحبه للفكاهة؛ ولأن هدفه من أفعاله إضحاكهم – حتى خلافة عثمان بن عفان كما نرى فى الرواية التالية.

"فمن مزحه أنه مر يومًا بمخرمة بن نوفل الزهرى[1] وهو ضرير، فقال له: قدنى حتى أبول، فأخذه بيده حتى أتى به إلى المسجد، فأجلسه فى مؤخره، فصاح به الناس إنك فى المسجد، فقال: من قادنى؟ قالوا: نعيمان، قال للّه علىّ نذر أن أضربه بعصاى هذه إن وجدته.

فبلغ ذلك نعيمان، فجاء إليه وقال له: يا أبا المنور هل لك فى نعيمان، قال: نعم، قال: ها هو قائمٌ يصلى وأخذه بيده وجاء به إلى عثمان ابن عفان وهو يصلى، وقال: هذا نعيمان، فعلاه بعصاه. فصاح الناس: أمير المؤمنين؛ فقال: من قادنى؟ قالوا: نعيمان، فقال: واللّه لا تعرضت له بسوء بعدها"[2].

وبعد فهذه الأخبار التى تصوِّر فكاهات نعيمان، ومقالبه الضاحكة تطلعنا على أول مضحك مارس فن إضحاك الناس عند العرب، ظهر فى عصر صدر الإسلام، وكان مضحاكًا مزاحًا، كما تصوِّر لنا هذا الأخبار التى ذكرت أضاحيكه فى حياة النبى ﷺ و بعد موته.

=أنه طبيب، وأنه لا يقرّ بطبه إلا بعد أن يضرب ضربًا شديدًا، وبالفعل أقر سجاناريل كذبًا أنه طبيب بعد أن ضُرِب، وتطورت الأحداث بعد ذلك فى المسرحية، انظر الطبيب رغمًا عنه لموليير. ترجمة: يوسف محمد رضا. دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.

(١) مخرمة: هو مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشى الزهرى، وقد فقد بصره فى خلافة عثمان بن عفان، ومات بالمدينة فى خلافة معاوية سنة ٥٤ وقد بلغ ١١٥ سنة، انظر عنه الاستيعاب، ١٣٨٠/٣.

(٢) المستطرف، ص٥٢٩، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٣٧- ٣٨، ونهاية الأرب، ٤/٤، والخبر بمعناه فى الاستيعاب، ١٥٢٨/٤- ١٥٢٩.

وهذه الأخبار تدلنا على أن نعيمان كان يقوم بإضحاك النبى ﷺ والصحابة الكرام؛ لأن حب الفكاهة فطرة عنده، وكان الإسلام لا يعاديها ما دامت فى إطار محدد ومحدود.

وكان نعيمان فى كل مواقفه المضحكة يتعمد عمل ما نسميه بالمقالب، التى يتم فيها – فى الغالب – النيل من شخص ما.

ومن صفات نعيمان المضحك فى هذه الأخبار – إلى جانب قدرته العالية على نسج المواقف المضحكة، والتمثيل فيها – أنه كان جريئًا فيما يقوم به من افعال مضحكة حتى إنه قد باع أحد الصحابة الأحرار انتقامًا منه لرفضه تقديم الزاد إليه خلال رحلة تجارية يقودها الصديق أبو بكر رضي الله عنه.

وفى عصر صدر الإسلام كان هناك صحابة آخرون يضحكون النبى ﷺ[1]، ويضحكون مع بعضهم البعض[2]، ولكننا سلطنا الضوء على

---

(١) من ذلك يُروى أن صهيبًا الرومى "قدم على النبى ﷺ وبين يديه تمر، وخبز، فقال: ادن فكل. قال: فأخذ يأكل من التمر، فقال النبى ﷺ: إن بعينك رمدًا، فقال: يا رسول الله أنا آكل من الناحية الأخرى؛ فتبسم النبى ﷺ". انظر الحديث فى أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزى، ص٥١. وأدب الدنيا والدين للماوردى، ص٢٨٥.

والحديث بمعناه فى الاستيعاب ٧٣٢/٢، وفى آخر رواية الاستيعاب، "فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه".

(٢) من ذلك ما يروى عن خبيب بن عبد الرحمن عن أبيه، عن جده، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ، فقتلت رجلاً، وضربنى ضربة.

فتزوجت بابنته بعد، فكانت تقول: لا عدمت رجلاً وَشَّحك هذا الوشاح، فأقول: لا عدمت رجلاً عجل أباك إلى النار.

انظر أخبار الظراف والمتماجنين، ص٥٨.

obeikandl.com

شخصية المضحك البارز فى ذلك العصر، ألا وهو نعيمان الأنصارى أول مضحك عربى وصلتنا أخباره وأضاحيكه.

شخصية المضحك فى العصر الأموى

العصر الأموى فيه استقرار كبير ، وهو عصر فيه هدوء للفتن التى اشتعلت فى آخر خلافة عثمان بن عفان إلى بدايات خلافة معاوية بن أبى سفيان.

وإلى جانب ذلك فهذا العصر كثرت فيه الثروات التى كانت تأتى من خراج البلاد التى فتحها المسلمون كمصر والعراق وفارس والأندلس وغير ذلك.

وقد انعكس هذا الاستقرار الذى شهده العصر الأموى فى فترات طويلة منه، وكثرة الأموال فيه – على ميل بعض البيئات فيه للهو، خاصة مدينتى مكة والمدينة المنورة؛ لأن فيهما كثيرًا من أمراء البيت الأموى من بنى أمية، وكثيرًا من أشراف سائر قبائل قريش، وقد أبعدهم بنو أمية عن السياسة بإتحافهم بالأموال الكثيرة التى استدعت وجود وسائل اللهو فى الغناء والموسيقى ومجالس السمر التى كان يحضرها بعض الظرفاء والمضحكين.

وليس من الغريب إذًا أن يكون أبرز المضحكين فى ذلك العصر قد ظهروا فى مكة والمدينة[1] للأسباب السابق ذكرها.

---

(١) د. شارل بلاً: تاريخ اللغة والآداب العربية. تعريب: رفيق بن ونّاس، وصالح حيزم، والطيب العشاش. بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٩٩٧م، ص١١٢.

obeikandi.com

ويعد أشعب[1] أبرز مضحك ظهر فى العصر الأموى[2]، وتروى له نوادر عديدة، وله مواقف كثيرة يقوم فيها بإضحاك الناس خاصتهم وعامتهم فى مكة والمدينة، بل إنه يرى أحيانًا فى قصر الخليفة الوليد بن يزيد – كما سوف نرى – مما يدل على أنه كان مضحكًا لبعض الخلفاء ولأشراف مكة والمدينة، ولعامة الناس أيضًا.

وكان الناس يستحبون صحبته ومجالسته للضحك منه، وللائتناس بنوادره وأقواله وحكاياته، مما يؤدى لسعادتهم وابتهاجهم.

وها هو ذا خبر يدل على ائتناس الناس بأشعب فى العصر الأموى – فى مكة والمدينة – ورغبتهم فى مجيئه إليهم ليأتنسوا بصحبته وليستمتعوا بفكاهاته وظرفه.

"وقال له بعض أصحابه: لو صرت إلىَّ العشية نتحدث؟ فقال: أخاف أن يجئ ثقيل، قال: ليس معنا ثالث فمضى معه.

قال: فلما صلينا الظهر ودعونا بالطعام إذا بشخصٍ يدق الباب، فقال أشعب: ترى أنا قد صرنا إلى ما نكره؟ قال فقلت له: إنه صديق وفيه

---

(١) هو أشعب بن جبير، المعروف بالطامع، ويقال له ابن أم حُميدة، ويكنى أبا العلاء، وأبا القاسم، وهو ظريف من أهل المدينة. كان مولى لعبد الله بن الزبير. تأدَّب وروى الحديث، وكان يجيد الغناء، ويضرب المثل بطمعه، وأخباره كثيرة متفرقة فى كتب الأدب، وعاش عمرًا طويلاً، قيل إنه أدرك زمن عثمان بن عفان ﷺ، وسكن المدينة فى أيامه، وقدم بغداد فى أيام المنصور العباسى، وتوفى بالمدينة سنة ١٥٤هـ. انظر: الأعلام، ٣٣٢/١، والأغانى، ١٩/ ١٣٥- ١٣٦.

(٢) المسامرة والمنادمة عند العرب، ص٥٠.

obeikandl.com

عشر خصال إن كرهت واحدة منهن لم آذن له. قال: هات. قلت: الأولى أنه لا يأكل ولا يشرب، قال: التسع لك، إيذن له"[1].

وكان أشعب لظرفه يستعين به بعض الأشراف فى مكة والمدينة للوساطة بينهم وبين بعض زوجاتهم، كما نرى فى الخبر التالى.

"وغاضبت مصعب بن الزبير زوجه عائشة بنت طلحة[2]، فاشتد ذلك عليه وشكا أمره إلى خاصته. فقال له أشعب: فما لى إذا هى كلمتك؟ قال: عشرة آلاف درهم.

فأتى إليها فقال: يابنة عم رسول الله ﷺ، تفضلى بكلام الأمير، فقد استشفع بى عندك، وأجزل لى العطية إن أنتِ كلمته. قالت: لا سبيل إلى ذلك يا أشعب، وانتهرته. فقال: جعلت فداك! كلميه حتى أقبض عشرة آلاف درهم، ثم ارجعى إلى ما عودك الله من سوء الخلق. فضحكت فقامت فصالحته"[3].

---

(١) جمع الجواهر، ص٦٩، انظر أيضًا: الحصرى القيروانى: زهر الآداب وثمر الألباب. تحقيق: على محمد البجاوى. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، د.ت، ١٦١/١، والأغانى. تحقيق: عبد الكريم العزباوى. مراجعة: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م، ١٥٢/١٩- ١٥٣، ونثر الدر: تحقيق: محمد إبراهيم عبد الرحمن. مراجعة: على محمد البجاوى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ٣١٥/٥، ونهاية الأرب، ٣٢٣/٣.

(٢) عائشة بنت طلحة بن عبيد الله من بنى تيم بن مرة، أديبة، عالمة بأخبار العرب، فصيحة أمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق، وخالتها عائشة أم المؤمنين، وكانت أشبه الناس بها، وكانت لا تستر وجهها، وتوفيت سنة ١٠١هـ. انظر: الأعلام، ٢٤٠/٣.

(٣) جمع الجواهر، ص٦٩.

obeikandl.com

بل وصل الأمر أن الخليفة الوليد بن يزيد – المحب للهو والمرح والمزاح[1] – استعان بأشعب كرسول له إلى محبوبته سعدة بعد أن طلقها، لعل حبال الوصل بينهما تعود من جديد، كما نرى فى هذا الخبر.

"بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلق امرأته سعدة فقال له: يا أشعب، لك عندى عشرة آلاف درهمٍ على أن تبلِّغ رسالتى سعدة، فقال له: أحضر المال حتى أنظر إليه، فأحضر الوليد بدرة فوضعها أشعب على عنقه، ثم قال: هات رسالتك يا أمير المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك:

أَسُعْدَةُ هل إليك لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامةِ من تلاقى؟!
بلى، ولعل دهرًا أن يواتى ... بموتٍ من حليلك أو طلاق
فأصبحَ شامتًا وتقرَّ عينى ... ويُجمع شملنا بعد افتراق

فأتى أشعب الباب، فأخبرت بمكانه، فأمرت ففرشت لها فرش وجلست فأذنت له، فدخل فأنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق، فقال: يا سيدتى إنها بعشرة آلاف درهم، قالت: والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتنى، قال: وما تهبين لى؟ قالت: بساطى الذى تحتى، قال: قومى عنه، فقامت فطواه ثم قال: هاتى رسالتك جعلت فداءك، قالت: قل له:

أتبكى على لبنى وأنت تركتها ... فقد ذهبت لبنى فما أنت صانع؟!

(١) انظر: الجاحظ: رسائل الجاحظ. "كتاب القيان". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجى بالقاهرة، د.ت، ٢/١٦٠.

obeikandi.com

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت، فقال: أَوَّه! قتلتنى والله، ما ترانى صانعًا بك يابن الزانية؟ اختر إمَّا أن أدليك منكسًا فى بئرٍ، أو أرمى بك من فوق القصر منكسًا، أو أضرب رأسك بعمودى هذا ضربة، فقال: ما كنت فاعلاً بى شيئًا من ذلك قال: ولم؟ قال: لأنك لم تكن لتعذب رأسًا فيه عينان قد نظرتا إلى سعدة فقال: صدقت يابن الزانية، اخرج عنى"[1].

إذن فقد عظم شأن المضحك أشعب فى العصر الأموى، فهو مضحك يأتنس به عامة الناس والأشراف خاصة، والخليفة الوليد بن يزيد أيضًا، بل إنه كان يستعان به فى الوساطة بين بعض المحبين وبعض الأزواج حين حدوث خلافات بينهم، كما رأينا فى الخبرين السابقين.

وسوف نتحدث كثيرًا عن أشعب خلال حديثنا عن صفات المضحك ووسائله فى الإضحاك؛ لأن له نوادر وأخبارًا كثيرة، تنوعت فيها وسائله فى الفكاهة.

ولعل أبرز مضحك ظهر فى العصر الأموى بعد أشعب هو الغاضرىّ[2]، وكان أشراف الناس – فى المدينة ومكة – يأتنسون بصحبته – أيضًا – لظرفه وفكاهاته ونوادره.

---

(١) الأغانى، ١٩/١٧٠- ١٧١، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٤/٣٢- ٣٣.

(٢) الغاضرى هو أحد الظرفاء المضحكين، ونشأته كانت فى المدينة، وكان معاصرًا لأشعب، وله أخبار مع سفيان الثورى المتوفى سنة ١٦١هـ. انظر عن الغاضرى: جمع الجواهر، ص١٥٢، وزهر الآداب، ١/١٦١، والخطيب البغدادى: البخلاء. حققه وخرج أحاديثه. وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم. القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٠م، ص٨١، والبصائر والذخائر، ١/١٥٦.

وها هما تان نادرتان تصوران ظرفه وروحه المرحة وائتناس الناس بصحبته.

"صحب الغاضرىّ رجلاً من قريش من مكة إلى المدينة فقال القرشى: يا غلام، أطعمنا دجاجة، فأتى بها باردة، فقال: ويحك أسخنها. ورفع غداؤهم ولم يؤت بالدجاجة.

فلما كان العشاء قال: يا غلام، عشاءنا. فلما أتاهم العشاء قال: هات تلك الدجاجة، فأتى بها باردة، فقال: أسخنها.

فقال الغاضرى: أخبرونى عن دجاجتكم هذه أمن آل فرعون هى؟ فإنى أراها تعرض على النار غدوة وعشيًّا.

فقال: ويحك يا غاضرىّ اكتمها علىّ، ولك منى مائة دينار. فقال: والله ما كنت لأبيعها بشىءٍ"[1].

* * *

"وأتى الغاضرىّ يومًا الحسن بن زيد فقال: جعلت فداك، إنى عصيت الله ورسوله. قال: بئس ما صنعت! وكيف ذلك؟ قال: لأن رسول الله ﷺ قال: لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة، وأنا أطعت امرأتى، فاشتريت غلامًا فهرب.

قال الحسن: فاختر واحدة من ثلاثٍ: إن شئت فثمن الغلام، قال: بأبى أنت! قف عند هذه ولا تتجاوزها! قال: أعرض عليك الخصلتين. قال: لا، حسبى هذه"[2].

---

(١)جمع الجواهر، ص١٥٢، وانظر أيضًا: البخلاء للخطيب البغدادى، ص٨١.

(٢) زهر الآداب، ١٦١/١.

obeikandi.com

إذًا فقد برزت شخصية المضحك فى العصر الأموى، وكانت مكة والمدينة، البيئة التى أفرزت أبرز المضحكين فى ذلك العصر – للأسباب التى سبق ذكرها –.

وكان المضحك يقوم آنذاك بدور بديل لوسائل اللهو فى عصرنا كالتمثيل فى المسارح والأفلام المضحكة.

وكما رأينا كان المضحك فى هذا العصر مقربًا من أشراف الناس فى مكة والمدينة ومتداخلاً فى حياتهم حتى مشاكلهم العائلية، كأنه شخص مؤتمن ويوثق بوساطاته بين المحبين وبين الأزواج، ويرجى نجاحه فى مهامه للتقريب بينهم حين حدوث خلافات بينهم، كما رأينا فى بعض الأخبار السابقة عن أشعب.

أيضًا كان المضحك فى هذا العصر يضحك أشراف الناس وعامتهم فى الوقت نفسه، وأحيانًا يفد على الخليفة – وبخاصة إن كان يميل للمزاح والمرح كالوليد بن يزيد – كما رأينا فى وفادة أشعب على الخليفة الوليد بن يزيد، وقيامه بالوساطة بينه وبين محبوبته سعدة بعد أن طلقها ورغب فى إعادة الوصل معها من جديد.

والمضحك فى العصر الأموى يستخدم وسائل عديدة فى الإضحاك، منها شكله المضحك – كما سوف نرى عند الحديث عن أشعب –، وتعليقاته المضحكة، والقدرة على التمثيل، وعمل المواقف المضحكة، والقيام بالحيل الطريفة، وغير ذلك من وسائل الإضحاك التى سوف نتناولها بالتفصيل عند حديثنا عن وسائل المضحكين فى الإضحاك فيما بعد.

obeikandl.com

ونحب قبل أن نترك الحديث عن شخصية المضحك فى العصر الأموى أن نقول: إنه بالفعل لم يكن هناك مضحكون مختصون وملازمون للخلفاء الأمويين – فهذا أمر استحدثه العباسيون بتأثر من الفرس – ولكن مع ذلك كان لبعض الخلفاء الأمويين ندماء عندهم روح الفكاهة العالية كما نرى ذلك فى الرواية التالية.

"كان بديح أحلى الناس وأذكاهم، وهو الذى قال له الوليد بن يزيد: يا بديح؛ خذ بنا فى الأمانى، فإنى أغلبك فيها. فقال: يا أمير المؤمنين: أنا أغلبك لأنى فقير وأنت خليفة، وإنما يتمنى المرء ما عسى أن يبلغ إليه وأنت قد بلغت الآمال.

قال: لا تتمنى شيئًا إلا تمنيت ما هو أكثر منه. قال: فإنى أتمنى كفلين[1] من العذاب وأن يلعننى الله لعنًا وبيلاً، فقال: اعزُبْ لعنك الله دون خلقه"[2].

شخصية المضحك فى العصر العباسى

ومع سقوط الدولة الأموية ومجئ الدولة العباسية – على أيدى الفرس بقيادة القائد الفارسى أبى مسلم الخراسانى – دخلت المراسيم الفارسية فى صلب الدولة العباسية، وكانت شخصية مضحك الخليفة من ضمن المراسيم التى أخذها العباسيون عن الفرس.

(١) الكفل: النصيب، والمراد أنه يريد ضعف النصيب.

(٢) جمع الجواهر، ص٥٧.

obeikandi.com

وقد كانت شخصية المضحك معروفة عند الفرس فى دولتهم الساسانية البائدة[1]، وكان الأكاسرة يتخذون ضمن ندمائهم الملهين والمضحكين، وكانوا يصحبونهم خلال سفرهم وترحالهم، فقد جاء فى كتاب التاج.

"ومن حق الملك إذا خرج لسفر أو نزهة أن لا يفارقه خلع للكساء، وأموال للصلات، وسياط للأدب، وقيود للعصاة، وسلاح للأعداء، وحماة يكونون من ورائه وبين يديه، ومؤنس يفضى إليه بسره، وعالم يسأله عن حوادث أمره، وسنة شريعته، وملهٍ يقصر ليله ويكثر فوائده. وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم أولها وآخرها"[2].

وكان المضحكون والملهون ضمن إحدى الطبقات التى نظمها أردشير بن بابك ومن جاء بعده من أكاسرة الفرس فى بطانتهم، جاء عن ذلك فى كتاب التاج المنسوب للجاحظ.

"كان أردشير بن بابك أول من رتب الندماء وأخذ بزمام سياستهم، فجعلهم ثلاث طبقات، فكانت الأساورة وأبناء الملوك فى الطبقة الأولى، وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة. ثم الطبقة الثانية وكان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم). ثم الطبقة الثالثة، وكان

---

(١) وقد جاء فى كتاب التبصّر بالتجارة للجاحظ. "عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه العلامة السيد حسن حسنى عبد الوهاب التونسى. الناشر: مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٣٧": "وزعم سابور الملك أنه ليس ينبغى للعاقل أن يعتدّ بقول سبعة من الناس: بقول السكران، والدلال، والمضحك، والعليل، والعرَّاف، والنمام، والنساء".

(٢) الجاحظ: التاج فى أخلاق الملوك "وهو كتاب منسوب إليه". تحقيق: أحمد زكى باشا. إيران، فروردين، ط١، ١٣٧٠هـ، ص٧٠.

obeikandl.com

مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة"[1].

ولعل مازيار يكون أشهر المضحكين الذين ظهروا فى البلاط الفارسى، ووصلتنا أخبارهم، ومن الأخبار الطريفة التى تروى عنه ذلك الخبر.

ويروى أنه كان لأحد ملوكهم نديم مضحك يسمى "مازيار"، فظهر له من الملك جفوة، فلما زاد ذلك عليه تعلم نبح الكلاب وعواء الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال، ثم احتال حتى دخل موضعًا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره، فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك فى أنه كلب، فقال: انظروا ما هذا؟ فعوى عواء الذئب فنزل الملك عن سريره، فنهق نهيق الحمير، فمشى الملك هاربًا، ومضت الغلمان يتبعون الصوت، فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل، فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانًا، فلما أتوا به إلى الملك وعرف أنه مازيار، ضحك ضحكًا شديدًا، وقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: إن الله ﷻ مسخنى كلبًا وذئبًا وحمارًا وفرسًا لما غضب علىّ الملك، فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد إلى مرتبته الأولى[2].

قلنا: إن العباسيين قد أخذوا عن الفرس ضمن مراسيم بلاط الحكم وجود شخصية المضحك، الذى يضحك الخليفة فى قصره،

---

(١) المصدر السابق، ص٢١- ٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٧- ١٢٨.

لاحظ أنه تروى رواية لأشعب فيها يقوم بعمل شبيه بعمل مازيار هنا فى تجرده من ملابسه وإضحاك الناس بجسمه وهو عريان. انظر: نهاية الأرب، ٣٠/٤.

obeikandl.com

ويضحك أسرته، وكبار رجال البيت العباسى أيضًا، ولعل أبا دلامة كان أول من قام بدور المضحك فى بلاط العباسيين، وسوف نتحدث عنه بعد قليل خلال حديثنا عن أنواع المضحكين.

على أنه يهمنا هنا أن نقول: إن العصر العباسى قد كثر فيه المضحكون خاصة مع خلافة الرشيد ومن جاء بعده من الخلفاء، الذين فتحوا باب اللهو فى قصور الخلافة –، وبخاصة المتوكل الذى قرب إليه المضحكين والملهين.

وأصبحت شخصية المضحك متنوعة فى هذا العصر، فهناك مضحك الخليفة وعلية القوم، وهناك مضحك العامة، وهناك طوائف أخرى من المضحكين كالحمقى، والمخنثين وغيرهم، كما سوف نتحدث عنهم بعد قليل.

حتى لقد صار الهزل فى هذا العصر مهنة يقوم بتعليمها بعض الناس كما نرى فى هذه الرواية.

"قال أبو العبر[1]: كنا نختلف[2] – ونحن أحداث – إلى رجل يعلمنا الهزل فكان يقول: أول ما تريدون قلب الأشياء. فكنا نقول إذا أصبح:

---

(١) جاء فى كتاب الأغانى: أن أبا العبر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد، وعُمِّر إلى خلافة المتوكل، وكسب بالحمق أضعاف ما كسبه كل شاعر كان فى عصره بالجد، ونفق نفاقًا عظيمًا، وكسب فى أيام المتوكل مالاً جليلاً، وله فيه أشعار حميدة يمدحه بها.
انظر: الأغانى، ١٩٧/٢٣.
وقال أحمد بن على الأنبارى: "كنا يومًا فى مجلس محمد المهلبى بسر من رأى فجرى ذكر أبى العبر، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطه، فقلت ليزيد: كيف كان عندك؟ فقد رأيته؟ فقال: ما كان إلا أديبًا فاضلاً، ولكنه رأى الحماقة أنفق وأنفع له، فتحامق". انظر: الأغانى، ٢٠٣/٢٣.

(٢) نختلف إليه: نزوره من وقت إلى آخر.

كيف أمسيت؟ وإذا أمسى: كيف أصبحت؟ وإذا قال لأحدنا: تعال إلىّ تأخر إلى خلف، وإذا قال: اذهب سعى بين يديه.

وكانت له أرزاق يعمل كتابتها فى كل سنة، فعملها مرة – وأنا معه – فلما فرغ من التوقيع فيها، وبقى الختم قال لى: أتربها[1] وهاتها. قال: فمضيت وصببت عليها ماء، فبطلت. فلما رآها قال لى: ويلك! ما صنعت؟ قلت: ما نحن فيه طول النهار من عكس الأشياء. فقال: واللّه لاصحبتنى، أنت أجهل منى وأحمق"[2].

(١) أتربها: أى اجعل عليها ترابًا ليجف ما بها من حبر.

(٢) نثر الدر. تحقيق: منيرة محمد المدنى. مراجعة: د. حسين نصار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٢٩٧/٧.

obeikandl.com